الكيس الذي علم ان له معادا فقدم اليه عملا صالحا ثم قدم عليه فسره وهو يومئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وتلى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فقال هو الذنب على الذنب حتى يموت ويسود القلب وتلى ولا تمنن تستكثر ثم قال لا تستكثر عملك فانك لا تعلم ما قبل منه ولا ما رد فلم يقبل وقرا الهاكم التكاثر ثم قال انا لله وانا اليه راجعون الهى والله عن نار الخلود وشغل عن نعيم لا يبيد ثم قرا كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ثم قال ايها الناس لو توعدكم مخلوق بموت لما استقر بكم القرار فكيف بوعيد ملك الملوك والحي الذي لا يموت وكان اذا قام بالقران وانتهى هذه السورة لم يتجاوزها ولا يزال يرددها ويبكي الى ان ينقطع نحيبه رحمه الله تعالى

الفصل السابع في مكاتباته للخلفاء ومقاماته مع الامراء

روى عنه رحمة الله عليه انه كان يقول ان الله سبحانه وتعالى اخذ على الخلفاء والامراء والحكام ثلاثة اشياء فمن اوفى بعهد الله منهم نجا ومن نقض هلك اخذ عليهم ان لا يتبعوا الهوى وان لا يخشوا الناس ويخشونه وان لا يشتروا باياته ثمنا قليلا وكان اذا ذكر الملوك قال لا تنظروا الى ترف عيشهم ولين رياشهم ولكن انظروا الى سيرة ظعنهم وسوء منقلبهم واتصل به عن بعضهم انه كان ياكل الخشن من الطعام ويلبس الدني من الثياب فقال يا ويحه على ما جبي له من الخراج وملك من اطراف البلاد فقالوا انه يفعل ذلك بخلا فقال الحمد لله الذي حرمه من دنياه ما لاجله ترك دينه وكان يقول اذا اراد الله بقوم خيرا جعل امراءهم حلماءهم وفيئهم عند سمحائهم واذا اراد الله بقوم شرا جعل امراءهم سفهاءهم وفيئهم عند بخلائهم وكان يقول لقد حدثت عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم انه كان يقول لقد حدثت عن بعض الصحابة ان من اشراط الساعة ان يكون في الارض امراء فجرة ووزراء كذبة وامناء خونة وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة واني لاتخوف ان يكون وقتنا هذا وقيل انه حضر النضر بن عمرو وكان واليا على البصرة الحسن يوما فقال يا ابا سعيد ان الله عز وجل خلق الدنيا وما فيها من رياشها وبهجتها وزينتها لعباده وقال عز وجل وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وقال عز من قائل قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا فقال الحسن ايها الرجل اتق الله في نفسك

واياك والاماني التي ترجحت فيها فهلكت ان احدا لم يعط خيرا من خير الدنيا ولا من خير الاخرة بامنيته وانما هي داران من عمل في هذه ادرك تلك ونال في هذه ما قدر له منها ومن اهمل نفسه خسرهما جميعا ان الله سبحانه اختار محمدا صلى الله عليه وسلم لنفسه وبعثه برسالته ورحمته وجعله رسولا الى كافة خلقه وانزل عليه كتابا مهيمنا وحد له في الدنيا حدودا وجعل له فيها اجلا ثم قال عز وجل لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وامرنا ان ناخذ بامره ونهتدي بهديه وان نسلك طريقته ونعمل بسنته فما بلغنا اليه فبفضله ورحمته وما قصرنا عنه فعلينا ان نستعين ونستغفر فذلك باب مخرجنا فاما الاماني فلا خير فيها ولا في احد من اهلها فقال النضر والله يا ابا سعيد انا على ما فينا لنحب ربنا فقال الحسن لقد قال ذلك قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عليه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل سبحانه اتباعه صلى الله عليه وسلم علما للمحبة واكذب من خالف ذلك فاتق الله يا ايها الرجل في نفسك وايم الله لقد رايت اقواما كانوا قبلك في مكانك يعلون المنابر وتهتز لهم المراكب ويجرون الذيول بطرا ورياء الناس يبنون المدر ويوثرون الاثر ويتنافسون في الثياب اخرجوا من سلطانهم وسلبوا ما جمعوا من دنياهم وقدموا على ربهم ونزلوا على اعمالهم فالويل لهم يوم التغابن وما ويحهم يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ يومئذ شان يغنيه وقيل دخل عليه يوما اخر فقال ايها الامير ايدك الله ان اخاك من نصحك في دينك وبصرك عيوبك وهداك الى مراشدك وان عدوك من غرك ومناك ايها الامير اتق الله فانك اصبحت مخالفا للقوم في الهدي والسيرة والعلانية والسريرة وانت مع ذلك تتمنى الاماني وترغب في طلب العذر والناس اصلحك الله طالبان فطالب دنيا وطالب اخرة وايم الله لقد ادرك طالب الاخرة واستراح وتعب الاخر واخترم فاحذر ايها الامير ان تشقى بطلب الفاني وترك الباقي فتكون من النادمين واعلم ان حكيما قال شعر

> اين الملوك التي عن حظها غفلت حتى سقاها بكاس الموت ساقيها

نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى لقد حدثت ايها الامير عن بعض الصالحين انه كان يقول كفى بالمرء خيانة ان يكون للخونة امينا وللظالمين معينا وقيل لاخر مقري الا تذهب الى السلاطين فتصيب من

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)